من طرق القرآن(*)

القرآن لاتنقضي عجائبه سواء من حيث الشكل والمضمون ، والقرآن نص معجز سواء من حيث الشكل والمضمون . ولقد تصدي العلماء قديماً وحديثا للكشف عن ذخائر القرآن وفرائد جواهره ومعارج تفوقه فجاءوا من ذلك بالكثير ولكنهم تركوا من ذلك أكثر من الكثير ينتظر من الغواصين طول الأنفاس ومن الكشافين قوة الأضواء ومن الباحثين نفوذ البصيرة . ولم يعد البحث عن دور الكتاب الكريم وقفا علي العرب ولاعلي المسلمين ، فلقد نري في أيامنا هذه ونسمع المنصفين من الغربيين يكشفون عن صدق المضمون القرآني في أمور تعتبر من دقائق العلم الحديث وآخر من تصدي لذلك منهم الباحث الفرنسي موريس بوكاي الذي أشاد بما راعه من التطابق بين مضمون النص القرآني وبين الثابت من حقائق العلم الحديث سواء في علم الأجنة أو في الفلك أو في غيرهما من العلوم .

وأما من حيث الشكل فقد علمنا أن القرآن تحدي العرب أن يأتوا بسورة من مثله وأن يدعوا من استطاعوا من دون الله فلم تستطع روائع الخطباء ولاسجع الكيان ولاشياطين الشعر أن تدنو من القرآن لابسبب الصرفة كما زعم بعض المعتزلة (فنحن نعلم أن بعض الناس حاول أن يأتي بمثل القرآن) ولكن بسبب إمتناع النص القرآني نفسه علي من يحاول له محاكاة وتقليدا . ولقد نشأت العلوم اللغوية في التراث العربي في رحاب القرآن وللإعانة علي حسن فهمه ولكنها بنت ملاحظاتها علي كلام العرب ولم تجر استقراءها علي القرآن نفسه ، فلما اكتملت في أيدي العلماء حقائق تلك العلوم وقواعدها عرضوها علي النص القرآني فانسجمت مع بعضه

(*) بحث أعد بمناسبة مؤتمر مجمع اللغة العربية المنعقد في ٢٢ فبراير ١٩٨٢وبمناسبة العيد الخمسيني لإنشاء المجمع

وقصرت دون بلوغ البعض الآخر ، وظل القرآن فوق النحو وفوق البلاغة وفوق غيرهما من علوم العربية وأن أعانت هذه العلوم علي فهمه . ظل القرآن فوق هذه العلوم يتحدي قواعدها وحقائقها كما تحدي الفصحاء من مقاويل العرب من قبل فأصبح التحدي القرآني منتصراً في مجال النظرية والتطبيق علي سواء .

ومن المعروف أن السياق اللغوي يعتمد في فهمه علي الخضوع لأنماط تركيبية معينة ومن هنا جاءت الكلم أنواعا لكل منها موقع خاص في الكلام ولكل موقع إعراب يناسبه ولكل كلمة اختصاص بما يدخل عليها أو امتناع علي ما يتنافي معها ولابد لأجزاء الجملة من روابط تربط بعضها ببعض وهلم جرا . فلايجوز أن تأتي الكلم متجاورة كيفما اتفق لها التجاور فيقال مثلا (علي جلس الكرسي الرجل) إذ لابد من إخضاع توالي الكلمات لشروط النمط التركيبي فيقال : «جلس الرجل علي الكرسي» . والمعروف أن لكل لغة إنسانية مجموعة من الأنماط قلت أو كثرت وترتبط الإفادة بهذه الأنماط فإذا عرفنا أن نمط الجملة هو «الوضع» الذي تكون عليه من حيث الشروط النحوية التركيبية المتقدم ذكرها أدركنا مايقصده النحاة من قولهم : «الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع » أي المفيد بحكم النمط المحدد نحويا .

والقرآن فوق هذه الأنماط يعلو عليها ويتحداها ويصل إلي المعني فيبلغ غاية الإفادة ولو بدون «الوضع» . ولأمر ما قال القراء : «القراءة سنة متبعة» وقصدوا بذلك أنها لايجوز إخضاعها «للوضع» النحوي بما يشتمل عليه من قواعد وقيود وشروط . ولعل هذا يعد جانباً مُهِمًا من جوانب الاعجاز القرآني أفاض القدماء في شرحه ولكنهم لم يتهتدوا إلي عدة في وجوه الاعجاز . وسنحاول فيما يلي أن نلقي بنصيبنا من الضوء علي بعض الطرق التي انفرد بها القرآن في صياغة الجملة العربية دون التزام منه «بالوضع» النمطي الذي اشترطه النحاة للوصول إلي الإفادة ، كما نحاول كذلك أن نأتي بظواهر أسلوبية معينة تتجاوز العلاقات النحوية إلي الوسائل البلاغية وأرجو أن نتمكن عند النظر في هذه الطرق وتلك الظواهر من رؤية كيفية امتياز الشكل القرآني بميزاته الخاصة ، وسيكون كلامنا عن البنية

والتركيب والأسلوب .

أولا . البنية :

الكلمة العربية من حيث بنيتها نوعان : تركيبية ومعجمية ، فأما التركيبية فإنها تتناقض مع التعريف الذي وصفه النحاة للكلمة إذ قالوا «الكلمة مادل علي معني مفرد» لأن الكلمة التركيبية - كما يدل اسمها - لامعني لها إلا في السياق . فإذا دلت «في» علي الظرفية فقد عبرت عن علاقة بين كلمتين في السياق إحداهما ظرف والأخري مظروف ، وإذا عبرت الواو عن العطف فمعناها هو العلاقة بين المعطوف عليه والمعطوف ، ومعني «إلا» علاقة بين المستثني منه والمستثني ومعني «إن» الشرطية علاقة ما بين الشرط والجواب ومن الكلمات التركيبية الحروف والضمائر والموصلات والإشارات وجوامد الظروف الخ ، وواضح أن هذه المعاني هي وظائف وليست من قبيل المعاني المفردة . لأن المعاني المفردة هي معاني الكلمة المعجمية ، إذ يدل لفظ «قلم» مثلا علي شيء مادي وليس علي وظيفة نحوية . وللقرآن طريقة خاصة في التصرف في بنية هذين النوعين من الكلمات أما بالقلب أو التعديل أو الزيادة أو الحذف أو الفصل أو إهدار الاختصاص ونحو ذلك . وفيما يلي شواهد علي هذه الطريقة :

أ - القلب :

قال تعالي : «ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم» والمعروف أن قواعد النحو تضع الضمير بين «ها» التنبيه واسم الاشارة فتقول : هأنذا وها أنت ذا وهأنتم أولاء . وفي نص القرآن ذاته : «هأنتم أولاء تحبونهم» (آل عمران ١١٩) وكذلك «هأنتم أولاء جادلتم فيما لكم به علم» (النساء ١٠٩) ولكن التركيب الأول حدث فيه قلب للرتبة فتقدم الضمير علي «ها» التنبيه فلصقت «ها» باسم الاشارة أولاء».

ب - التعديل :

قد يعمد القرآن إلي تعديل صورة الكلمة فيضع بكه في مكان مكة وميكال بدل ميكائيل وسينين لسيناء وإلياسين لإلياس وكبّارًا لكبير وعُجابًا

لعجيب ويَهدِّي ليهتدي ويَخصِّمُون ليختصمون وكذِّابًا لتكذيب وهلم جرا . وقد يكون بعض ذلك لمراعاة الفاصلة ولكن بعضه آخر لا تفسير له إلا أن القرآن فوق اللغة .

ثانياً : التركيب :

وفيه الزيادة والحذف والفصل والاختصاص ونحوها :

فحوي القول بالزيادة أن النحويين حين حددوا معالم «الوضع» (أي النمط) حدوده علي أساس عناصر معينة ليس منها هذا الذي يعرف بأنه «زائد» وبذلك يصبح معني لفظ «زائد» أنَّ هذا ليس من جملة العناصر التي يشتمل عليها «الوضع» الذي ربط النحويون به الإفادة . ولكن البلاغيين يجعلون لهذا الزائد «وظيفة» تقوية المعني إذ يقولون : «زيادة المبني تدل علي زيادة المعني» . فالزائد عند النحويين مؤكِّد عند البلاغيين أي أن «ما زيد بقائم» هي أوكد من «مازيد قائم» ولقد حصر النحويون وعرف البلاغيون مواطن الزيادة وحددوا أماكنها وشروطها حتي كادوا يخلقون لها أنماطا فرعية . ولكن القرآن فوق كل ذلك إذ يجعل لنفسه حرية التصرف في الزيادة علي نحو لايعترف بأنماط النحويين وحددوهم . ولك أن تتأمل طرق الزيادة فيما يلي :

١ – «فبما رحمة من الله لنت لهم»(آل عمران ١٥٩)

٢ – «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم»(المائدة ١٣) .

٣ – « أتتركون فيما ههنا آمنين»(الشعراء ١٤٦) ،

وفي هذه الشواهد الثلاثة زيادة «ما» بعد حرف الجر بينه وبين مجروره وهي طريقة قرآنية . وربما كانت الزيادة في الشاهد الثالث مشتملة علي حرف الجر بالإضافة إلي «ما» .

٤ – « ولاتستوي الحسنة ولا السيئة»(فصلت ٣٤) .

٥ – «وما يستوي الأعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات»(فاطر ١٩) .

٦ - «لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة» (القيامة ١-٢).

ومن الواضح أن الزائد في هذه الشواهد لفظ «لا» الذي قبل السيئة والنور والحرور والأموات وأقسم وهذه زيادة لم توضح لها أنماط نحوية ولكن القرآن فوق النحو لأنه سنة متبعة .

٧ - «وكذلك نري إبرهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين»(الأنعام ٧٥) .

٨ - «وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين»(الأنعام ٥٥).

٩ - «وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القري ومن حولها ...» .

١٠ - «وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست»(الأنعام ١٠٥).

وزيادة الواو واضحة قبل لام التعليل في كل هذه الشواهد وليس هذا الموضع مما عده النحاة من مواضع الزيادة ولكن القرآن له طرقه التي لم يتسع لها النحو .

د - زيادة الضمير :

١١ - «وأسروا النجوي الذين ظلموا»(الأبياء ٣) .

١٢ - « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون»(البقرة ٤).

١٣ - « أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم بالآخرة هم الأخسرون»(النمل ٥) .

وقد نسب النحاة أشباه الشاهد الأول إلي لغة بعض القبائل (فقعس ودبير) ولكن الواضح أن الواو هنا زائدة وكذلك أحد الضميرين في كل من الشاهدين الآخرين ولاتبويب لذلك في النحو .

هـ - حذف الحرف :

وفحوي القول بالحذف أن عنصرا من عناصر التركيب وجب ذكره

بحسب «الوضع» أو القيد أو القاعدة ولكنه لم يذكر في الاستعمال ومن ثم قيل إنه محذوف . وشرط حذفه وجود ما يدل عليه ، لأن القاعدة المنهجية العامة تقول : « لاحذف إلا بدليل » ، ولأن الحذف بلا دليل يؤدي إلي اللبس. وهناك حروف أوجب النحو العربي ذكرها في مواضعها منها :

أ – همزة الاستفهام وقد أوجب النحو ذكرها لأن التراث العربي تراث ينتقل بالكتابة من جيل إلي جيل ، والكتابة العربية خالية من علامات الترقيم ومن ثم تخلو من رمز يدل علي الاستفهام ، ولهذا جعلت الهمزة في أول الجملة الاستفهامية في مقام علامة الاستفهام التي توجد في آخر الجملة المكتوبة .

ب – الفاء الواقعة في جواب الشرط عند مالا يصلح الجواب أن يكون شرطا لأن معظم صور الجملة في هذه الحالة ملبسة ، والقاعدة المنهجية التي عبر عنها ابن مالك تقول : «وإن بشكل خفيف لبس يجتنب» انظر مثلا إلي جملة «من عمل صالحا فلنفسه» وتصور حذف الفاء فستري عندئذ أن الجار والمجرور يصلح للنعت كذلك.

جـ – «قد» قبل الماضي في جملة الحال لمنع التباس معني الواو التي قبل قد بالعطف في نحو : «قال وقد رفع صوته : كيف حالك؟.» فحذف «قد» هنا يؤدي إلي اللبس .

د – حرف الجر يتكرر عند العطف علي ماجر به منعا لالتباس العطف بمعني آخر كالقسم في حالتي الباء والواو مثلا ، وبخاصة إذا كان المكان غير صالح لنزع الخافض .

ولكن القرآن يحذف ولايلبس . وهذا مما أختص به القرآن . انظر مثلا الشواهد الآتية لحذف الحرف (وستري الحرف المحذوف مثبتا بين قوسين في سياق الشاهد) :

١ – «ولا علي الذين إذا ما أتوك لتحملهم (ف) قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا..» (التوبة ٩٢) .

أو «ولا علي الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه (ف) تولوا ...»(التوبة ٩٢)

ففاء العطف محذوفة في أحد الموضعين .

٢ - «قال (أ) ومن ذريتي قال لاينال عبدي الظالمين»(البقرة ١٢٤) .

٣ - « (أ) وتلك نعمة تمنيا علي أن عبدت بني إسرائيل» .

٤ - «(أ) مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفي ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كـ (مثل) من هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم»(محمد ١٥) .

٥ - « ان ربك هو أعلم (ب) من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» (النحل ١٢٥) .

٦ - «قل ربي أعلم (ب) من جاء بالهدي و(ب) من هو في ضلال مبين» (القصص ٨٥) .

٧ - «قالوا ياموسي أجعل لنا إلها كما (أن) لهم آلهة»(الأعراف ١٣٨)

٨ - «لاتركضوا وأرجعوا إلي ما أترفتم فيه و(إلي) مساكنكم»(الأنبياء ١٣) .

٩ - «وآخرون مرجون لأمر الله أما «أن» يعذبهم وأما (أن) يتوب عليهم»(التوبة ١٠٩) .

١٠ - «قالوا و (قد) أقبلوا عليهم ماذا تفقدون»(يوسف ٧١).

و - حذف الكلمة : والمقصود بالكلمة أن تكون مبتدأ أو خبر أو عاملا أو متعلقا للظرف والمجرور أو موصوف أو صفة أو غير ذلك . وكما وضعنا الحرف الحذوف بين قوسين عندما عرضنا الشواهد علي حذف الحرف سنضع الكلمة الحذوفة بين قوسين في شواهد حذف الكلمة علي نحو مايلي :

١ – (سننّا) سنة من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تبديلا» (الإسراء ٧٧) .

٢ – «كهيعص (هذا) ذكر رحمة ربك عبده زكريا»(مريم ١) .

٣ – «الله يعلم ما تحمل كل أنثي وماتغيض الأرحام وما تزداد (هو) عالم الغيب والشهادة ...» ((الرعد ٨) .

٤ – «ذلك عيسي بن مريم (أقول) قول الحق الذي فيه يمترون»(مريم ٣٤) .

٥ – «(نزلناه) تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلي»(طه ٤) .

٦ – «واضمم يدك إلي جناحك تخرج بيضاء من غير سوء (نجعلها) آية أخري »(طه ٢٢) .

٧ – «وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب (تري) صنع الله الذي أتقن كل شيء»(النمل ٨٨) .

٨ – «(بلدتكم) بلدة طيبة و (ربكم) رب غفور»(سبأ ١٥) .

٩ – «أ (تستكبرون) استكبارا في الأرض و (تمكرون) مكر السيء»(فاطر ٤٣) .

١٠ – «فمن عفي له من أخيه شيء فـ (سبيله) اتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان»(البقرة ١٧٨) .

١١ – «فمن كان منكم مريضاً أو علي سفر ف (حكمه) صيام عدة من أيام آخر» (البقرة ١٨٤) .

١٢ – وأن طلقتوهن من قبل أن تمسوهن فـ (فريضتهن) نصف ما فرضتم»(البقرة ٢٢٧) .

١٣ – « كذلك يضرب الله (مثل) الحق والباطل»(الرعد ١٧) .

١٤ – «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و(آيات) آخر متشابهات»(آل عمران ٧) .

١٥ - «فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا (غلاما) صالحا لنكونن من الشاكرين»(الأعراف ١٨٩) .

ز - حذف شطر الجملة :

وهنا أيضا يلزم أن يكون هناك دليل للحذف ولكن القرآن يتعدي هذه القاعدة أحيانا وهو مايزال بمنأي عن اللبس لسهولة استخراج المحذوف بالقرائن الحالية حين تعز القرائن المقالية . وفيما يلي طائفة من الجمل التي حذف شطرها نجعلها شواهد علي هذه الظاهرة :

١ - «(أن) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (يخدعون أنفسهم) أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا»(النساء ١٣٩) .

٢ - «والذين آمنوا وعملوا الصالحات (سنخفف عنهم) لا نكلف نفسا إلا وسعها»(الأعراف ٤٢) .

٣ - «حتي إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه (غفر لهم) ثم تاب عليهم ليتوبوا» (التوبة ١١٨) .

٤ - «إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم (لن يضروه شيئا) وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» (فصلت ٤١) .

هـ - «أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (ناج من العذاب) وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون» (الزمر ٢٤) .

٦ - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو علي نور من ربه (خير أمن قسا قلبه) فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله »(الزمر ٢٢) .

٧ - «(أذلك الكافر آمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه»(الزمر ٩) .

٨ - أو آباؤنا الأولون (مبعوثون) »(الصافات ١٧) .

٩ – «حتي إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم (تباينتم) منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة»(آل عمران ١٥٢) .

١٠ – «فإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية (فافعل) ولوشاء الله لجمعهم علي الهدي فلا تكونن من الجاهلين»(الأنعام ٣٥) .

١١ – «ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوءتينا الله من فضله ورسوله إنا إلي الله راغبون (لكان خيرا لهم) إنما الصدقات للفقراء والمساكين ..» (التوبة ٦٠) .

١٢ – «ولولا أن تصيبهم بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (لأصبناهم بعذاب) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسي ...»(القصص ٤٧) .

١٣ – «وإذا قيل لهم أتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون (أعرضوا) وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين» (يس ٤٥) .

١٤ – «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم (ما كففنا أيديكم عنهم) ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما» (الفتح ٢٥) .

١٥ – «أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما (أئنا لمبعوثون) ذلك رجع بعيد» (ق ٢) .

١٦ – «ولولا فضل الله عليكم وبرحمته وأن الله تواب رحيم (لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه خيراً لكم بل هو شر لكم ... ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم » (النور ١٠) .

١٧ – «ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم (مازكي منكم من أحد أبدا) يأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع

خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكي منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم» (النور ٢٠ - ٢١)

ح - حذف كلام يقتضيه المعني :

والمقصود بالكلام الذي يقتضيه المعني كلام لايمكن أن يتحل ما بعده بما قبله إلا بواسطة تقديره لأن مضمونه يعد تمهيدا منطقيا لما يأتي بعده بحيث لايستغني عنه فهم المعني وان استغني سرد الأحداث وفي القصص. ولو أننا وازنا بين المحذوف من النص وبين نظيره في الأدب المسرحي العادي لوجدنا هذا المقابل في المسرحية قولا أو حركة معينة أو عملا بعينه يراه الشاهد فيستغني به عن الكلام . ولكن النص القرآني يستغني عن المحذوف دون الاستعانة بما ينوب عنه ومع دلك يظل مفهوما فهما تاما . ولنا أن ننظر فيما يلي :

١ - «ولو تري إذ يتوفي الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم و(يقولون لهم) ذوقوا عذاب الحريق...» (الأنفال ٥٠) .

٢ - «يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم (يقال لهم) هذا ما كنزتم لأنفسكم فذقوا ما كنتم تكنزون» (التوبة ٣٥) .

٣ - «وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلي بعض (وتساءلوا) هل يراكم من أحد ثم انصرفوا...» (التوبة ١٢٧) .

٤ - «ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين (وعادت إلي مراودته فأبي عليها و) قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه...» (يوسف ٣٢) .

٥ - « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتي حين (فأدخلوه السجن) ودخل معه السجن فتيان (رأي كل منهما في المنام رؤيا قصها علي يوسف) قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل

فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه»(يوسف ٣٥) .

٦ - «وقال الذي نجا منهما واذّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون (إلي يوسف فأرسلوه إليه فلما أتاه قال) يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان..»(يوسف ٤٥) .

٧ - «ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون (وعاد الفتي إلي الملك فأخبره بما قال يوسف فعجب الملك لما سمع) وقال الملك ائتوني به (فأرسلوا إليه رسولا) فلما جاءه الرسول قال أرجع إلي ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنّ زبي بكيدهن عليم (فدعا الملك بهن فأحضرن أمامه) قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف ...» (يوسف ٤٩).

٨ - وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي (فأتوه به فأقبل عليه يكلمه ويسمع منه) فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال إجعلني علي خزائن الأرض إني حفيظ عليم (فأجابه الملك إلي ماطلب) وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ...» (يوسف ٥٠) .

٩ - «أرجعوا إلي أبيكم فقولوا يا أبانا إن إبنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل (أهل) القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون (فلما رجعوا إليه وأخبروه بذلك) قال (ليس الأمر كما زعتم) بل سولت لكم أنفسكم أمرا ...» (يوسف ٨١) .

١٠ - يابني إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولاتيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (فذهبوا يتحسسون من أخويهم حتي إذا بلغوا قصر العزيز استأذنوا فأذن لهم) فلما دخلوا عليه قالوا ..»(يوسف ٨٧) .

١١ - «وعرضوا علي ربك صفا (فقال لهم) لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة» (الكهف ٤٨) .

١٢ - «فأجاءها المخاض إلي جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (ثم ولدته فنظرت فإذا هو غلام فلم يخفف ذلك من

حزنها) فناداها من تحتها ألا تحزني ...»(مريم ٢٣) .

١٣ - «قلنا لاتخف إنك أنت الأعلي وألق مافي يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتي .(فاطمأن قلبه وألقي بما في يمينه وألقوا ما في أيمانكم فابتلعت عصاه حبالهم وعصيهم) فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسي»(طه ٦٨) .

١٤ - «لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين (فلما حضر الهدهد دنا من سليمان) فمكث غير بعيد...» (النمل ٢١) .

١٥ - «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات (غير السموات) وبرزوا لله الواحد القهار»(إبراهيم ٤٨) .

١٦ - «وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد يقولان) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينة هذا ما لدي عتيد (فيقال للسائق والشهيد) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ...» (ق٢١).

ط - الفصل : والمقصود به أحد أمرين : الفصل بين أمرين يختص أحدهما بالآخر والفصل بين الجمل المتتابعة مع إمكان وصلها بعطف أو نحوه فمن ذلك الفصل بين الموصوف وصفته وقد وضع الفاصل بين قوسين نحو :

١ - «يسبح لله (ما في السموات وما في الأرض) الملك القدوس العزيز الحكيم»(الجمعة ١) .

٢ - «يوم يأتي أمر ربك لاينفع نفسا (إيمانها) لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا» (الأنعام ١٥٨) .

٣ - «وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلي وربي (لتأتينكم) عالم الغيب»(سبأ ٣) .

٤ - «قالت رسلهم أفي الله (شك) فاطر السموات والأرض...» (إبراهيم ١٠) .

٥ - «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض (ومغاربها) التي باركنا فيها ...»(الأعراف ٣٧) .

أو بين المعطوف وماعطف عليه نحو:

٦ - «واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين (إحسانا) وبذي القربي ...»(النساء ٣٦) .

٧ - «إذ الأغلال (في أعناقهم) والسلاسل يسحبون ...»(غافر ٧١) .

٨ - «يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلي طعام غير ناظرين إناء (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعتم فانتشروا) ولامستأنسين لحديث»(الأحزاب ٥٣) .

او بين الفعل ومفعوله بأجنبي نحو :

٩ - «أفلم يروا (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أنهم إليهم لايرجعون» (يس ٣١) .

١٠ - «قال آتوني (أفرغ عليه) قطرا» (الكهف ٩٧) .

أوبين الأداة ومدخولها نحو :

١١ - «فلولا (إن كنتم غير مدينين) ترجعونها إن كنتم صادقين» (الواقعة ٨٦) .

ي - الاختصاص وهو نوع من التضام النحوي :

وهذا النوع من الترخص القرآني في الاختصاص من أوضح الأدلة علي أن القرآن أوسع من النحو وأن النحاة حين ألقوا بثقلهم علي الشعر العربي فجعلوه مجال استقرائهم ومعين شواهدهم إنما اعتمدوا علي شكل من أشكال التعبير مكبل في أغلال الوزن والقافية فلابد أن يحكم الوزن علي الجملة الشعرية بالإيجاز وعلي الكلمة الشعرية بقيود فنية متعددة ومن ثم لم يكن للشعر العربي ما للقرآن من الحرية في مجال التعبير وتلك حرية لايحد من انطلاقها قيد حتي ولو كان الفاصلة لأن الفاصلة القرآنية لاتتسم

بالإلتزام علي نحو ما تتسم القافية الشعرية . فإذا كان ذلك كذلك فلنا أن ننظر في الشواهد التالية لنري مظهر الحرية والتحدي ثم البعد عن اللبس في بناء الجملة القرآنية :

١ - المعروف أن «لو» تدخل علي الفعل الماضي مباشرة أو لكونه خبرا لأنَّ وأنَّ جوابها إذا احتاج إلي رابط اكتفي باللام ومع ذلك نجد في القرآن «قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق» فدخلت «لو» علي الضمير واشتمل جوابها علي «إذاً».

٢ - «والمقرر في جواب لو أن يكون فعلا ماضيا كذلك ولكننا نجد في القرآن : «ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير» فنري الجواب جملة إسمية .

٣ - من المعروف أيضاً أن الموصولات فيها من العموم ما يأذن لبعضها (مثل مَنْ ومَا) أن ينقل من الموصولية إلي معني الشرط فيتسعمل أداة للشرط وتلزم الفاء في جوابه إذا لم يصلح هذا الجواب أن يكون شرطا. أما مالا يتحول إلي الشرطية من الموصولات فإنه إذا وقع مبتدأ فكانت له الصدارة في الجملة اكتسبت من معني العموم وموقع الصدارة شبها بِمَنْ ومَا أن ينقل من الموصولية إلي معني الشرط فيستعمل أداة للشرط وتلزم الفاء في جوابه إذا لم يصلح هذا الجواب أن يكون شرطي أما ما لايتحول إلي الشرطية من الموصولات فإنه إذا وقع مبتدأ فكانت له الصدارة في الجملة اكتسب من معني العموم وموقع الصدارة شبها بمن وما اللتين انتقلتا إلي الشرطية فصح في خبره أن يقترن بالفاء كما يقترن جواب الشرط . وقد قدم النحاة لنا من ذلك مثالايقول : «الذي يأتيني فله درهم» ولكن القرآن إذ يشتمل علي شواهد من هذا القبيل يضيف إلي هذا التركيب توسعا آخر في مجالين : الأول أنه قد يجعل الموصول إسما لإنَّ ويبقي علي الفاء في الخبر والثاني أنه قد يسحب هذه الخصائص علي «ال» الموصولة فيجعلها كبقية الموصلات الأسمية . ويتضح كل ذلك فيما يلي :

أولا: الفاء في خبر الموصول المبتدأ:

* «والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم» (محمد ٤) .

* «والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم» (محمد ٨) .

ثانيا : الفاء في خبر إن التي اسمها موصول :

* «إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب إليم» (آل عمران ٢١) .

* «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق» (البروج ١٠) .

ثالثا : الفاء في خبر الوصف المقترن بأل الموصوله :

* «الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (النور ٢) .

* «والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة»(النور ٦٠) .

٤ – وفي النحو أن النكرة توصف بالنكرة كما توصف المعرفة بالمعرفة ولكن القرآن يتحدي قواعد النحاة في الشواهد الآتية التي وصفت فيها النكرة بالاسم الموصول وهو معرفة :

* « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلها آخر»(ق ٢٤) .

* « هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب»(ق ٣٢) .

* « لكيلا تأسوا علي مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ...»(الحديد ٢٣) .

* «ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده»(الهمزة ١).

٥ – عطف المتغايرين:

للعطف في صناعة النحو شروط تأتي من الاعتراف بالمشاركة بين المتعاطفين في الخصائص ومن هنا يعطف الاسم علي الاسم والفعل علي

علي الفعل ثم في نطاق الفعل بعطف الماضي علي الماضي وبعطف الحاضر علي الحاضر وكذلك المستقبل علي المستقبل . هذا في النحو ، أما في القرآن فقد يعطف المتخالفان ويظل المعني مع ذلك واضحا واللبس مأمونا وينكشف الجانب الجمالي في هذا العطف الذي يتحدي النحو والنحاة . من ذلك :

* « أن الله فالق الحب والنوي يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي»(الأنعام ٩٥) .

* «يقدم قومه يوم القيامه فأورهم النار» (هود ٩٨) .

* « يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله»(النمل ٨٧) .

* « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلي بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور»(فاطر ٩) .

٦ - تشويش الرتبة :

ليس في النحو ما يأذن بعكس رتبة محفوظة ولكن القرآن يبدي من الحرية في ترتيب الكلام مالامثيل له في نص عربي آخر ومع ذلك يتضح المعني ويؤمن اللبس ويتحقق الجمال . ومن شواهد هذه الظاهرة مايلي :

* توسط الخبر المقترن بضمير الفصل بين «لكنَّ» واسمها في قوله تعالي :

«لكن هو الله ربي» (الكهف ٣٨) = لكن ربي هو الله »

* تقدم الحال الجملة علي الفعل وصاحب الحال في قوله تعالي :

«ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » (هود ٣٨) = وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ويصنع الفلك .

* تقديم نائب المفعول لأجله علي المفعول به وصفته الظرف وتقديم ذلك كله علي الفعل والفاعل في قوله تعالي :

«أئفكا آلهة دون الله تريدون » (الصافات ٨٦) = أتريدون آلهة دون

الله إفكا.

* تأخير «لا» المؤكدة للنفي عن موضعها من الكلام كما في قوله تعالي: « وما يستوي الأعمي والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ...» (غافر ٥٨) . أي وما يستوي الأعمي والبصير ولا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء .

* تقديم الجار والمجرور ثم الحال علي المبتدأ صاحب الحال في قوله تعالي :

« فله جزاء الحسني» (الكهف ٨٨) = فالحسني له جزاء».

هذا نموذج مما يوجد في القرآن من الظواهر التركيبية التي يصعب إحصاؤها في المجلدات الطوال فما بالك بعجالة مثل هذا البحث قصد بها أن تكون علي سبيل الإشارة فحسب ، وليس يتسع المقام للكلام في ظواهر أخري كمجيء الخبر جملة إنشائية وجعل الظرف مضافا إليه والترخص في المطابقات ومزج الكلمة في غيرها وتداخل الشرط في الشرط وكذلك الشرط في الخبر وعدم تعليق الجار والمجرور إلي غير ذلك من الظواهر التركيبية التي نمسك عن الكلام فيها طلبا للاختصار والاقتصار .

ثالثاً : الأسلوب :

في تناولي لأسلوب القرآن سيكون من همي أن أكشف عن بعض طرق القرآن للوصول إلي المعني إما بإجراء يتصل بالمعاني الوظيفية لعناصر الكلام وإما بطريقة رد القرآن علي المزاعم التي يزعمها الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين حتي من بعد ماجاءتهم البنية . وسأعرض لشواهد مختصرة علي هذين النوعين علي الترتيب واقتصر عليهما فقط :

١ - التصرف في المعاني الوظيفية :

سأعرض هنا لوسيلة القرآن للتعبير عن التكثير والتأكيد والتفصيل والتضمين والقطع والإشارة ونحو ذلك علي النحو التالي :

التكثير : يستعمل القرآن للتكثير طرقا تشيع في غيره كاستعمال

«كم» نحو :

* « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون» (الأعراف ٤) .

* « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين» (الأنبياء ١١) .

وقد يستعمل الإبهام وسيلة من وسائل التعبير عن التكثير نحو :

* «جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » (ص ١١) .

ولكن القرآن يستعمل وسيلة أخري يكاد يختص بها وهي «كأين» نحو:

* «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا ...» (آل عمران ١٤٦) .

* وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية علي عروشها ...» (الحج ٤٥) .

* «وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم» (العنكبوت ٦٠).

التأكيد : وما أكثر طرق التأكيد في القرآن ولكنني سأحصر كلامي في الطرق القرآنية التي لا تكاد تجدها في غير القرآن وأهم ما لفت نظري من ذلك .

* الاستفتاح بفاء استئنافية لا تربط ما بعدها بشئ قبلها في قوله تعالي :

* «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي » (الأنفال ١٧) .

* التأكيد بالفاء وثم وبتكرار اللفظ جميعها في قوله تعالي :

« أولي لك فأولي ثم أولي لك فأولي » (القيامة ٣٤) .

التفصيل : ويلفت النظر من ذلك أن يكون التفصيل إبدالا مما سبق

كما في قوله تعالي :

«حتي إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا» (مريم ٧٥) .

* أو أن يقع التفصيل موقع الحال كما في قوله تعالي :

«هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن»(التغابن ٢) .

التضمين : وفي القرآن من هذه الظاهرة الشئ الكثير ولكنني سأختار ثلاثة شواهد يتضح بها التضمين كما يلي :

* قال تعالي : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي » (فصلت ١٧) .

ومن الواضح أن حرف الجر «علي» ليس مما يدخل علي الفعل «استحب » ولكن الفعل هنا ضمن معني « فضلوا » فدخل عليه حرف الجر.

* قال تعالي : « وقال الرسول يارب أن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » (الفرقان ٣٠) .

والمعروف أن المفعول الثاني للفعل «اتخذ» إذا جاءوصفا فلابد أن يكون قد نقل إلي الاسمية كأن نقول «اتخذت فلانا حارسا أو صديقا أو خليلا أو ردءا أو وزيرا الخ « أما أن يبقي علي الوصفية فهذا لا يتفق مع إرادة الإفادة. وواضح أن «مهجورا» غير منقول إلي الاسمية لأنه لايدل علي مسمي وإنما هو وصف باق عليالوصفية فلم يبق إلا أن يكون القرآن قد ضمن « اتخذوا » معني «صيروا » أو «جعلوا » فيستقيم المعني .

* قال تعالي : « فتبسم ضاحكا من قولها ...» النمل ١٩) وقد نصب لفظ «ضاحكاً » علي الحال وتعلق به الجار والمجرور . ولقد كان من الممكن أن يكون المعني " فتبسم ساخراً» من قولها علي رغم أن «ضحك منه» قد تدل علي «سخر منه» أو سخر به» ولكن سليمان لم يكن يسخر من النملة وإنما كان يعجب من قولها . ولما لم يكن في اللغة «ضحك منه» بمعني «عجب منه» فإن هذا المعني لاينسب إلي الآية إلا علي سبيل التضمين أي تضمين «ضاحكاً» معني «عاجبا».

قطع المفعول :

ومعني ذلك ان يعمد النص إلي مفعول فيقطعه عن سياقه بتسليط غيرفعله عليه كما في قوله تعالي : «ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم»(سبأ ٤) .

تقليب الإشارة :

وسأسوق من ذلك شاهدين أحدهما يشار فيه إلي متأخر في الكلا من قبل ذكره مع العلم أن الإشارة تكون للحاضر لا للآجل . والثاني يشتمل علي إشارة إلي معني مستخلص لم يصرح بلفظه . فالأول :

قوله تعالي : «ذلك جزاء أعداء الله النار» (فصلت ٢٨) .

والثاني قوله تعالي : « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » (الشوري ٤٣) لأن المشار إليه هنا هو الصبر المستخلص من « صبر » والغفران المفهوم من « غفر » .

٢ - الرد علي المزاعم :

وطريقة القرآن في الرد علي مزاعم الكافرين لا تخرج عن واحدة مما يأتي :

أ - الاعتذار

ب -التنزيه

جـ - الدعاء

د - التعجيز

هـ - التكذيب

و - الوعيد

ز -التعليق

ح -الإجابة ١ - بسؤال

٢ - بأمر بالسؤال

٣ - بجواب

٤ - بأمر الجواب

ط – المزج بين اثنتين أو أكثر من هذه الطرق وفيما يلي الاستشهاد علي ذلك :

أ – الاعتذار :

* ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آيه من ربه
قل إنما أنت منذر
ولكل قوم هاد (الرعد ٧) .

* والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه
قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به
إليه أدعو وإليه مآب (الرعد ٣٦).

ب التنويه :

* وقالوا اتخذ الله ولدا
سبحانه
بل له ما في السموات والأرض
كل له قانتون (البقرة ١١٦) .

* وقالوا اتخذ الله ولدا
سبحانه
بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (الأنبياء ٢٦) .

جـ – الدعاء :

* وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت أيديهم
ولعنوا بما قالوا (المائدة ٦٤) .

* ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر
عليهم دائرة السوء
والله سميع عليم (التوبة ٩٨) .

* وإذا ما أنزلت سورة نظربعضهم إلي بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا

صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون (التوبة ١٢٧) .

د - التعجيز :

* وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصاري

تلك أمانيهم

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (البقرة ١١١) .

* أم يقولون أفتراه

قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات

وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (هود ١٣) .

* أم اتخذوا من دونه آلهة

قل هاتوا برهانكم

هذا ذكر من معي وذكر من قبلي

بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (الأنبياء ٢٤).

هـ - التكذيب :

* وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون

ألا إنهم هم المفسدون

ولكن لايشعرون (البقرة ١١) .

* وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء

ألا إنهم هم السفهاء

ولكن لا يعلمون (البقرة ١٣)

* يحلفون بالله ما قالوا

ولقد قالوا كلمة الكفر

وكفروا بعد إسلامهم (التوبة ٧٤)

* وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطياكم

وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ إنهم لكاذبون
(العنكبوت ١٢)

و - الوعيد :

* فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون .(الأنعام ٥).

* وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم علي أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء.
سيجزيهم وصفهم
إنه حكيم عليم (الأنعام ١٣٩)

* يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
قل استهزئوا
إن الله مخرج ما تحذرون.(التوبة ٦٤)

د- التعليق :

* يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء
فقد سألوا موسي أكبر من ذلك
فقالوا أرنا الله جهرة (النساء ١٥٣)

* **وقالوا لولا أنزل عليه ملك**
ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر
ثم لا ينظرون
ولو جعلناه رجلا وللبسنا ما يلبسون (الأنعام ٩)

* وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون
وأما الذين كفروا فزادتهم رجسا إلي رجسهم
وماتوا وهم كافرون . (التوبة ١٢٤)

* وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه
وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم

ومن قبله كتاب موسي إماما ورحمة
وهذا كتاب مصدق
لسانا عربيا
لينذر الذين ظلموا
وبشرى للمحسنين (الأحقاف ١٢)

ح- الإجابة :

١- بسؤال :

*وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا
أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون (البقرة١٧٠)

* ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون(آل عمران ٤٤)

* فأخرج لهم عجلا عجلا جسدا له خوار فقال هذا إليكم واله موسي فنسي
أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا
ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا (طه ٨٨)

*وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه
أولم تأتيهم بينة مافي الصحف الأولي (طه ١٣٣)

٢- بالأمر والسؤال :

* وقالوا لن تمسنا النار إلا إياما معدودة
قل إتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
أم تقولون علي الله مالا تعلمون (البقرة ٨٠)

*قل من يرزقكم من السماء والارض
أمن يملك السمع والابصار
ومن يخرج الحي من الميِّت

فسيقولون الله !
قل أفلا تتقون
فذلكم الله ربكم الحق
فماذا بعد الحق إلا الضلال
فأني تصرفون (يونس ٢٢) .

٣- الجواب :

* وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت
بلي !
وعدا عليه حقا
ولكن أكثر الناس لا يعلمون (النحل ٣٨)

* أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه
بلي قادرين علي أن نسوي بنانه (القيامه ٣)

٤- الأمر بالجواب :

*فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر
قل نار جهنم أشد حراً
لوكانوا يعلمون (التوبة ٨١)

* وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه
*قل إن الله قادر علي أن ينزل آية ولكن أكثرهم لايعلمون (الأنعام ٣٧) .

* وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا
قل كونوا حجارة أو حديدا
أو خلقا مما يكبر في صدوركم (الإسراء ٤٥).

ط- المزج بين إثنتين أو أكثر من هذه الطرق :

* ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا

لولا أوتي مثل ما أوتي موسي .

أولم يكفروا بما أوتي موسي من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا وإنا بكل كافرون .

قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه إن كنتم صادقين

فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهوائهم

ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدي من الله

إن الله لا يهدي القوم الظالمين (القصص ٤٧)

*وقالوا إن نتبع الهدي معك نتخطف من أرضينا

أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون

وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ومنها نحن الوارثين

وما كان ربك مهلك القري حتي يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القري إلا وأهلها ظالمون .(القصص ٥٧)

* وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدي من إحدي الأمم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا

استكباراً في الأرض ومكر السئ

ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله

فهل ينظرون إلا سنة الأولين

ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولن تجد لسنة الله تحويلا (فاطر ٤٢) .

* وقالوا لولا نزل هذا القرآن علي رجل من القريتين عظيم

أهم يقسمون رحمة ربك

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا

ورفعنا بعضهم فوق بعضهم درجات ليتخذ بعضهم بعضا سُخريا

ورحمة ربك خير مما يجمعون (الزخرف ٣١).

** إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها

مصبحين ولا يستثنون .....

أفنجعل المسلمين كالمجرمين

مالكم

كيف تحكمون

أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تخيرون

سلهم أيهم بذلك زعيم

أم لهم شركاء

فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين

فذرني ومن يكذب بهذا الحديث

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم

إن كيدي متين

أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون

أم عندهم الغيب فيهم يكتبون

فاصبر لحكم ربك

ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادي وهو مكظوم (القلم ١٧)

* وإذا تتلي عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله

قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي

إن أتبع إلا ما يوحي إليّ

إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

قل لوشاء اللّه ما تلوته عليكم ولا أدراكم به

فقد لبثت فيكم عمراً من قبله

أفلا تعقلون .(يونس ١٥)

* بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون

ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها

أفهم يؤمنون

وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام
وما كانوا خالدين
ثم صدقناهم الوعد فأنجيناها ومن نشاء
وأهلكنا المسرفين
لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم
أفلا تعقلون(الأنبياء ٥)

هذا بعض من طرق القرآن في التعبير الحر وفي التحدي المعجز ظهر بها أن القرآن نص عربي ولكنه يهيمن على اللغة ولاتهيمن عليه اللغة ويتسع للنحو ولايتسع له النحو أفلا يجب بعد هذا أن نعترف بصحة قول من قال «القرآن لا تنقضي عجائبه»